بركة حفظ العلم في الصدور

يزعم بعض المتعالمين أنَّه لا فائدة من الحفظ، وأنَّ المهم هو الفهم، وقد رأيتُ بعضَ من كتب ذلك، فأقول مستعينا بالله:

إنَّ من أعظم شُعب الإيمان (حفظ العلم في الصدور)، كما قال ربنا: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: 49]، ولو لم يكن في فضل حفظ العلم إلا بركةُ دعاء سيدي رسول الله ﷺ لكفى: (نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيْرَهُ)[1].

كلُّ من يقول أنَّ الحفظ غير مهم، يُضمر في نفسه رهبةً أمام حُفَّاظ العلم، وذهولًا منهم إذا بدأوا في سرد محفوظاتهم، وهذا مُشاهَدٌ، والذين يزعمون أنَّ الحفظ غير مُهمٍّ للأسف لا يفهمون معنى الحفظ، فضلاً عن معنى التدبر لغة وشرعاً صدقوني..!

يظن الكثير أنَّ المقصود بحفظ القرآن هو مجرد التكرار، وهذا صحيحٌ جزئيًا، فتكرار اللفظ طريقٌ عمليٌّ فعّالٌ لحفظ العلم، لكنَّه ليس هو الطريق الوحيد، بل الصحيح -ودقِّق يا مُوفَّق- أنَّ كل وسائل معاناة العلم بإدمان النظر فيه وطول الصُّحبة والتأمل والشرح والتلخيص والمدراسة وبحث مسائله، كلُّها من وسائل حفظ العلم ورسوخه في الذهن، فالذي يحفظ القرآن يكون غالباً قد تأمل ولخَّص وبحث وسأل وتفكَّر وتدارس مئات المرات، وصاحَب القرآن ليلاً ونهاراً.

كلَّما حَفِظَ طالب العلم قدرًا أكبر من المعارف زادت إمكانياته، فتيسَّر له فهمُ مقدمات العلوم، وصارتْ بيده مفاتحها، وقد كان السلف في القرون المفضلة منهمكون في حفظ

(1) سنن الترمذي، حديث رقم 2656.